مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (عدد خاص) 2022 ص ص 55-73

فضل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حفظ اللغة العربية ونشر تعليمها

The merit of the Algerian Muslim Scholars Association in preserving the Arabic language and spreading its teaching

سليمة برطولي*
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر) .
البريد الإلكتروني : salibertouli@gmail.com

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/12/27	2022/03/28	2022/04/16

الملخص: لقد شهدت اللغة العربية في الجزائر ظروفا عصيبة كادت تمسح معالمها في فترة الاحتلال الفرنسي، لكن بفضل علمائها الذين حملوا لواء الدفاع عن الوطن وعن مقومات الأمة، تم حفظ هذه اللغة ونشر تعليمها، فكان ذلك أحد أهم الأسلحة للدفاع عن الهوية ومواجهة الفرنسة وإبقاء الشعب الجزائري مرتبطا بعروبته وملتفا حول تعاليم الدين الإسلامي .

ويهدف هذا البحث إلى إبراز فضل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إحياء اللغة العربية في الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي، وتسليط الضوء على أهم الجهود التي بذلت لأجل نشر تعليمها.

الكلمات المفتاحية: *جمعية العلماء ؛ حفظ اللغة ؛ نشر اللغة .*

Abstractt: The Arabic language in Algeria witnessed difficult circumstances that almost erased its features during the period of the French occupation, but thanks to its scholars who carried the banner of defending the homeland and the components of the nation, this language was preserved and its education was spread, and that was one of the most important weapons to defend identity and confront France and keep the Algerian people connected Arabism and wrapped around the teachings of the Islamic religion. This research aims to highlight the merit of the Association of Algerian Muslim Scholars in reviving the Arabic language in Algeria during the period of the French occupation, and to highlight the most important efforts made to spread its education.

Keywords: *Scholars Association; language preservation; Language publishing*.

* **المؤلف المرسل**

مقدمة:

إن لكل أمة علماءها ومثقفيها ومفكريها الذين يحملون على عواتقهم مهمة تعليم الناس، ورسم معالم الطريق الصحيح لهم بغية بعث روح الأمة من جديد بعد عهد من الركود المفروض عليها. وإن الأوضاع السيئة التي عاشتها الجزائر وكثير من أقطار العالم العربي والإسلامي أثناء مرحلة الاستعمار الأوروبي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، والتي شملت جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية لم تجعل أبناء هذه المجتمعات - ممن لهم رصيد علمي ومكانة اجتماعية ولديهم وعي وطني وحضاري- يستسلمون لما حل ببلدا نهم كقدر لا يمكن إزاحته أو تغييره، بل سعوا إلى إصلاح تلك الأوضاع الفاسدة، ولاسيما في المجال الديني والثقافي واللغوي.

ومن هؤلاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تعد من أبرز تشكيلات الحركة الوطنية، التي ساهمت في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية بمقوماتها المختلفة، من خلال بث الوعي ومحاربة سياسية التجهيل وزرع القيم الوطنية والعقائدية، والدفاع عن اللغة العربية، والعمل على نشر تعليمها .

فما هو حال اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي؟ وما هو دور جمعية العلماء المسلمين في حفظ اللغة العربية وفي نشر تعليمها؟

1. الجهود الفرنسية للقضاء على اللغة العربية :

لقد عملت فرنسا للقضاء على اللغة العربية في اتجاهين :

1.1. محاربة اللغة العربية وتعليمها :

وفي مجال محاربة الاستعمار للغة العربية وتعليمها، نجد أن مواقفه اختلفت حسب اختلاف مصلحته في ذلك، حيث نجد أنه شجع تعليمها لما كان يخدم أهدافه الاستعمارية، وحارب تعليمها كمقوم من مقومات الشخصية الجزائرية. ويظهر ذلك فيما يلي:

أ- تشجيعه لتعليم العربية خدمة لأهدافه: بدأ الاستعمار منذ الأيام الأولى للاحتلال تعليم العربية لحاجته إليها كوسيلة للتعامل مع الجزائريين، ومن أبرز أساليبه لتحقيق هذا الغرض ما يلي:

1_ الاهتمام بالترجمة واتخاذ المترجمين العسكريين والمدنيين لتسهيل مهمة جيش الاحتلال.

2_ فرض تعلم اللغة العربية على الضباط و المسئولين الفرنسيين بالجزائر .

ب- محاربة التعليم العربي الإسلامي بالجزائر وذلك عن طريق ما يلي:

1_ إبعاد اللغة العربية عن الإدارة.

2_ حصر تعلم اللغة العربية في المدارس والمعاهد الفرنسية.

3_ القضاء على معظم مراكز الثقافة العربية كالزوايا والجوامع والمدارس التي حولها الاستعمار إلى معاهد للثقافة الفرنسية.

4_ محاربة التعليم العربي الحر بإصدار المراسيم التي تضيق عليه، ومنها قانون ديسمبر1904، وهو قانون يحظر على كل جزائري أن يفتح أو يتولى إدارة مدرسة عربية أو كتاب لتعليم القرآن الكريم إلا بترخيص خاص من السلطات، ومن يخالف هذا القانون يتعرض للحبس أو للغرامة أولهما معا (غنايزية، 2012، صفحة 32-35)

ومن أخطر الإجراءات التي اتخذتها فرنسا منذ البداية لسد المنابع التي تغذي العربية وقطع أسباب الحياة عنها:

1- الاستيلاء على مؤسسات التعليم بهدمها أو تغيير وظيفتها، مما ترتب عنه انحصار التعليم في بعض الكتاتيب، وغياب المؤسسات الوطنية التي كانت مركز إشعاع بالنسبة إلى الجزائريين، تلك المؤسسات التي كانت اللغة العربية فيها هي لغة التعليم والعلم والبحث، ولكن بعد الاستيلاء على هذه المؤسسات قل نشاطها وضاق مجال التعلم بها وقل عطاؤها.

2- مصادرة الأملاك الوقفية والريع الذي كانت تدره، تلك الأملاك التي كانت تغذي التعليم وتمول الأنشطة الجارية في المؤسسات التعليمية والدينية.

3- ضرب حصار شديد على الجزائر، وتشديد الرقابة على كل ما يأتيها من البلدان العربية والإسلامية من كتب وجرائد ومجلات، وتقييد حرية التنقل، حتى لا يتصل أبناؤها بما يثري ثقافتهم، ويعمق ارتباطهم بهذه الثقافة، وينمي وعيهم بذاتيتهم.

4- لم تكتف الإدارة الفرنسية بحرمان الأهالي من تعلم لغتهم والاتصال بثقافتهم، بل عمدت إلى حرمانهم من نعمة التعلم عموما، لأنها كانت تخشى من الإنسان المتعلم، فالتعلم يفتح أمام الشخص أفاقا فكرية، ويعطيه فهما دقيقا للمحيط، وهذه الحقيقة دفعتهم إلى تضييق مجال التعلم الموجه إلى الجزائريين.

وبهذه الإجراءات الظالمة بدأ التوجه نحو تحقيق تنفيذ سياسة الفرنسة والتجهيل والمسخ، التي جعلتها الإدارة الاستعمارية مدخلا رئيسا للقضاء على اللغة العربية، ومحو شخصية الأمة، وتجريد أفرادها من كل شعور يربطهم بمقومات هذه الشخصية، وبما أن اللغة العربية هي أهم مقوم من مقومات الشخصية وجه حكام الاستعمار جهودهم إليها، بالعمل على إقصائها، ومنع تعليمها، وحرمان أهلها من تعلمها، واعتمدوا في ذلك النظام المدرسي الفرنسي باعتبار أن المدرسة هي السلاح القوي الذي اتخذوه لتغيير واقع المجتمع الجزائري، في الاتجاه الذي يلائم سياستهم ويحقق أهدافهم. (فضيل، 2015)

2.1. إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية :

إن المكانة العظيمة التي تتمتع بها اللغة العربية في نفوس الجزائريين دفعت بالاستعمار الفرنسي إلى العمل على القضاء عليها بشتى الوسائل، وهذا ما نلمسه في تصريحات قادته ومسؤوليه، فهذا دي بورمون (DeBourmont) قائد الحملة الفرنسية على الجزائر، قال في تصريح له: "علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة " (سطحي، 2005، صفحة 45)

كما ورد في تقرير رسمي سنة 1849م ما يلي: "لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة، وبهذه اللغة يجب أن تصدر بأعظم ما يمكن جميع البلاغات الرسمية ، وبها يجب أن نكتب كل العقود... فإن الأمور التي يجب أن نهتم بها قبل كل شيء هي السعي وراء جعل اللغة الفرنسية عامة بين كل الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا، وإدماجهم فينا، وجعلهم فرنسيين" (سطحي، 2005، صفحة 45)، وهذا حتى ينسى الجزائريون – بمرور الزمن – لغتهم وثقافتهم القومية، وتعويضها باللغة الفرنسية وثقافتها، مثلما حدث لكثير من الشعوب التي تعرضت للاستعمار الفرنسي المصحوب بالغزو الثقافي، فقد رأت فرنسا " أن القضاء على العربية يعني القضاء على تراث الأمة، لأن أعظم المؤسسات في أية أمة هي لغتها لأنها وسيلة تفكيرها ومستودع تراثها المشترك قديمه وحديثه، ومصدر وحدتها وقوتها " (بوخلخال، 1997، صفحة 39)

وكان الاحتلال العسكري للجزائر مصحوبا بغزو ثقافي مركز وموجه لتحطيم مقومات الشخصية الجزائرية حتى يفقد الجزائريون بمرور الزمن لغتهم وثقافتهم، ويستبدلوهما بلغة وثقافة المستعمر الذي احتل وطنهم، كما حدث للهنود الحمر في أمريكا الشمالية ولمعظم شعوب أمريكا اللاتينية وبعض شعوب القارة الإفريقية، كما قامت بمحاولة تشويه تاريخ الجزائر في ظل الإسلام، للتشكيك في الانتماء العربي الإسلامي لها، حيث انحصر اهتمام علماء التاريخ والآثار الفرنسيين في البحث عن تاريخ الجزائر تحت الحكم الروماني، وفي عهد الاستعمار الفرنسي فقط، لمحاولة إقناع الجزائريين أن بلادهم فرنسية في حاضرها ومستقبلها ورومانية في ماضيها، ولاشيء غير ذلك. (تركي، 1975، صفحة 104-105)

ففي المجال الثقافي اتبعت فرنسا الأساليب التالية:

-1 الاستيلاء منذ الأيام الأولى للغزو على الأوقاف الإسلامية التي كانت تقوم بالإنفاق على التعليم والثقافة والشؤون الاجتماعية للمسلمين، مخالفة بذلك نصوص معاهدة الاحتلال القاضية باحترام المقدسات الدينية والثقافية للجزائريين.

-2 جعل التعليم في جميع المدارس الحديثة باللغة الفرنسية وحدها.

-3 فرنسة الإدارة كاملة تبعا لسياسة الفرنسة التي انتهجتها.

-4 محاربة اللغة والثقافة العربية بهدف القضاء عليهما تمشيا مع خطتها لمحو الشخصية الجزائرية.

-5 محاربة حركة التعليم العربي" الحر" التي كانت ترعاها مختلف المنظمات الوطنية ولاسيما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

6-منع تدريس العربية في المدارس الابتدائية، وجعلها لغة اختيارية في التعليم الثانوي.

-7 تمكن الاستعمار من إضعاف شخصية مجموعة من الجزائريين الذين أتاح لهم التعليم في مدارسه ومعاهده، واستعان بهم لهدم مقومات شخصية شعبهم الوطنية، فصاروا ينادون بإدماج الجزائر كليا في فرنسا (جماعة النخبة) وهو ما يحقق مخططات الاحتلال ضد الشخصية الجزائرية القائمة على أساس العروبة والإسلام والوطنية الجزائرية. (تركي، 1975، صفحة 101-102).

2. دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حفظ اللغة العربية ونشر تعليمها :

1.2. الظروف العامة قبل تأسيس الجمعية :

لقد تضافرت عوامل عديدة أدت إلى ظهور نشاط إصلاحي كبير في الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وكان من أهمها:

أ_ **دور الهجرة:** كان من الطبيعي أن تظهر هجرة الجزائريين نحو المشرق العربي والإسلامي بعد تعرضهم إلى نكبة الاحتلال، فقد كانت لهم روابطهم العديدة بالمشرق سواء الدينية أو السياسية أو التجارية، وقد تزايدت هذه الهجرة مع فشل المقاومات الشعبية

وتوقفها، حيث توالت الهجرات من المدن المحتلة نحو تونس أو المغرب أو المشرق العربي والإسلامي، وكان من أهم أسباب الهجرة: فشل ثورة سنة 1871، وصدور القوانين الجائرة مثل قانون الأهالي (الأندجينا)، ومشاريع التجنيد الإجباري، والمساس بالشريعة الإسلامية، وفرض الفرنسية في التعليم ومواصلة الاستيلاء على الأراضي ومنع الحج (سعد الله، 2011، صفحة 552-553)، وهي عموما أسباب دينية وسياسية وأيضا قومية واقتصادية أدت إلى تدهور أوضاع الجزائريين ومنهم طبقة الحضر والأغنياء. وساعد على الهجرة الروابط اللغوية و الروحية و نداءات الجامعة الإسلامية .

ب_ ظهور الصحافة الوطنية: لقد ظهرت في الجزائر الصحافة الوطنية منذ سنة 1894 ، وكانت أول جريدة مثلت مدخلا للجزائريين إلى عالم الصحافة هي جريدة (المبشر)، ثم جريدة (المنتخب) التي ظهرت في قسنطينة من 1882 إلى 1883 ، وكانت تدافع عن الأهالي ضد تعسفات الإدارة والقوانين الاستثنائية وغلاة الكولون، ومن كتابها المعروفين عبد القادر المجاوي والمكي بن باديس، كما ظهرت صحيفة (الحق) في عنابة سنة 1894 واستمرت سنة فقط، ثم ظهرت جريدة (النصيحة) في العاصمة سنة1899

ومن الجرائد التي أثرت في الأوساط الجزائرية صحيفة (المغرب) التي صدرت سنة 1903 وتوقفت سنة 1913 وكانت تصدر بالعربية وهي ذات اتجاه عربي إسلامي، وجريدة (الفاروق). (بوصفصاف، 1981، صفحة 63-64)

ج_ دور حركة الجامعة الإسلامية: لقد تمتع زعماء الجامعة الإسلامية بسمعة عظيمة في الجزائر لاسيما جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وقد زار هذا الأخير الجزائر قبل سنتين من وفاته أي سنة 1903، ويذكر أنه تأثر وحزن من مظاهر تدهور عناصر الشخصية الجزائرية ولا سيما إختفاء عنصر اللغة العربية .

وكانت أفكار محمد عبده عن الإصلاح الديني والجامعة الإسلامية معروفة في كامل الجزائر فجريدة (المغرب) كانت تنشر أفكاره عن الشؤون الإسلامية، كما نشرتها جريدة

(ذو الفقار) التي كانت تظهر في الجزائر العاصمة سنتي 1913- 1914، بل إن محررها اعتبر عبده المدير الديني للجريدة...

إن مساهمة الجامعة الإسلامية في الحركة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر تتمثل في تقديم أفكار وتصورات جديدة للجزائريين من خلال الكتب والصحافة، كما شجعت الجزائريين على الهجرة نحو المشرق، وعرّفت بالقضية الجزائرية من خلال مهاجمتها للحكم الفرنسي وتشجيعها للجزائريين على رفض التجنيس، كما ضغطت على فرنسا لإدخال إصلاحات جديدة، وساعدت على نقل المشكل الجزائري إلى مجال أوسع بدل خنقه خلف الستار الفرنسي الاستعماري. (سعد الله، 2011، صفحة 124)

د_ دور جامع الزيتونة: ومما لاشك فيه أن الحركة الإصلاحية في الجزائر قد تأثرت بشكل كبير يجامع الزيتونة والحركة العلمية والفكرية فيه، كما أن الطلبة الجزائريين المتخرجين منه كان لهم أثرهم ودورهم البارز في قيام حركة النهضة والإصلاح في الجزائر، ففي مجال التعليم حذا ابن باديس المتخرج من جامع الزيتونة حذو شيخه النخلي الذي عمد إلى إصلاح التعليم الزيتوني وتجديد الفكر الديني والاستفادة من تطورات العصر، فالإسلام حسب تعبير النخلي هو دين حرية وعقل، وهو بذلك يرد على الجامدين في عصره الذين ثاروا عليه وعلى الطاهر بن عاشور ومحمد عبده... فيقول: (أولئك الذين أقاموا مفارقة بين العقل و النقل و اعتبروا الاهتداء بالعقل مروقا و الالتزام بالموروث تدينا و الإيمان بحرية الفكر ضلالا و التعلق بالمشعوذين رشادا وخلطوا بين الدين والفكر و سلّوا سيف التضليل و التكفير لمقاومة المصلحين) (فلاحي، 2007-2008، صفحة 57-60)

2.2 العوامل التي أدت إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

لقد تظافرت جملة من العوامل دفعت بنخبة من علماء الجزائر إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويمكن تقسيمها إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية.

أ_العوامل الداخلية: وتتمثل في :

- الأوضاع العامة وخاصة الثقافية والدينية السائدة بالجزائر في أواخر القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين بسبب النظام الاستعماري المطبق عليها في جميع ميادين حياة الجزائريين بما فيها اللغة والثقافة والتعليم والدين، حيث حاول الاستعمار الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر القضاء على المقومات الوطنية المتمثلة في القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي وإحلال الثقافة الفرنسية المسيحية مكانهما، كما استولت فرنسا على معظم مؤسسات التعليم الموجودة بالجزائر قبل الاحتلال. (بلحاج، 2015، صفحة 243)

- محاولة الاستعمار الفرنسي القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر.

- نشاط حركات التنصير المسيحي المدعمة من طرف الاستعمار الهادفة إلى تنصير أبناء وبنات الجزائر.

- سياسة الفرنسة والتجنيس المفروضة على الجزائريين.

- انحراف معظم الطرق الصوفية في الجزائر عن منهج الإسلام الصحيح حيث أكثروا من البدع والخرافات، بل وتعاون معظمهم مع الإدارة الاستعمارية ضد مصالح بلادهم (تركي، 2001، صفحة 198-199)

- مما جاء في سجل الجمعية عامل" الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه وتربيته الصحيحة التي كان يأخذ بها تلاميذه والتعاليم الحقة التي كان يبثها في نفوسهم" (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، 2009، صفحة 37)، ومدى تأثير هذه الدروس في الدعوة إلى الإصلاح ونبذ البدع ومقاومة الخرافات والجمود وتحرير الفكر الجزائري من سيطرتها وتنقية الدين الإسلامي مما ألحقه به الجهلاء والمبتدعون. (تركي، 2001، صفحة 199)

ب _ العوامل الخارجية:

- دعوة الشيخ محمد عبده إلى الإصلاح، وعلى الرغم من معاداة الكثيرين لهذه الدعوة داخل المجتمع الجزائري إلا أنها أثارت في نفوس الناس التطلع إلى ما هو أفضل. (مطبقاني، 2015، صفحة 57)

- التطور الفكري الذي طرأ على عقول الناس من مخلفات وآثار الحرب العالمية الأولى. (أبولحية، 2016، صفحة 26)

- عودة فئة من أبناء الجزائر من الحجاز مهد الإسلام الأول ومنبت الدعوة ومبعث الإصلاح الإنساني، بعد أن تلقوا العلم هناك .(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، 2009، صفحة 38)

- تأثير الشخصيات الإصلاحية العربية سواء عن طريق الاحتكاك المباشر معها أثناء مواسم الحج والرحلات العلمية إلى جامع الزيتونة والأزهر الشريف والحجاز والشام، أو عن طريق المؤلفات والمجلات والصحف التي كانت تصل سرا إلى الجزائر. (بالولي، 2014، صفحة 15)

ويرى بعضهم أن السبب المباشر لنشأة الجمعية هو احتفال المستعمر بمرور قرن من الزمن على احتلال الجزائر، وبأنه قد اطمأن على فريسته (خليفي، 2010)، وقد قال بعض القادة الفرنسيين بأن هذا الاحتفال لنصلي صلاة الجنازة على الإسلام والعربية في الجزائر، فقد قبرناهما إلى الأبد وصارت الجزائر فرنسية في كل أشيائها، فثارت ثائرة الجزائر بهذا العيد الاستعماري الذي كشف عن عزيمته في القضاء على الإسلام والعربية، فازداد العلماء المصلحون إيمانا بوجوب اتحادهم في جمعية تنظم الجهاد الذي يجب أن يقوموا به لحماية دينهم ووطنهم، فكان العيد المئوي الذي قصد به الاستعمار النكاية بالمسلمين خيرا وبركة لهم حيث ضاعف من حماسهم، فكان ذلك من الأسباب المباشرة لنشأة جمعية العلماء. (دبوز، 2013، صفحة 99)

3.2. مكانة اللغة العربية في نفوس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إن الحديث عن حماية اللغة العربية والدفاع عنها في فترة الاحتلال الفرنسي حديث عن الوطن وعن القيم الوطنية وعن جهود الشعب الجزائري وجهاده السياسي والثقافي من أجل الحفاظ على كيانه وإثبات وجوده، والصمود في وجه المحاولات الاستعمارية الرامية إلى تقويض أركان الشخصية الوطنية، وطمس المعالم الثقافية وتشويه التاريخ الوطني، وقد تجلى ذلك في الصمود الذي أظهره الشعب وفي المقاومة الشديدة لسياسة الاستعمار، والمخطط الذي رسمته هذه السياسة في المجال الثقافي واللغوي، تلك السياسة التي بنيت على أساس سحق الكيان الجزائري من الوجود، أو تذويبه في كيان غريب عنه من خلال البدء بتدمير مقومات الأمة وهدم أركان الشخصية، ومحاولة إضعاف الشعور العربي الإسلامي في نفوس المواطنين أو انتزاعه منهم، ليسهل فصلهم عن أصولهم الحضارية، وتحويلهم من أناس لهم تاريخ وحضارة وانتماء عربي إسلامي إلى أناس آخرين ليس لهم انتماء محدد، إلى أناس ليسوا عربا وليسوا عجما، وليسوا فرنسيين لأن الإدارة تريد أن تبقيهم تابعين لفرنسا لغويا وعاطفيا، ولكنهم لا يتمتعون بما يتمتع به الفرنسيون، ولا تتاح لهم فرص التثقيف التي هي من الحقوق الأساسية لكل مواطن فرنسي، عليهم أن يخدموا فرنسا ويندمجوا في البيئة الفرنسية لغة وثقافة وأخلاقا، ولكن لا يجوز لهم أن يطالبوا بالحقوق التي تعطى للفرنسيين، لأنهم ليسوا فرنسيين، وإن اعتبروا رعايا فرنسيين في الأوراق الثبوتية.

وإن الحالة البائسة التي كانت عليها اللغة العربية، وكان عليها المتمسكون بهذه اللغة بسبب المضايقات التي كانت تسلط عليهم، وعلى المؤسسات التي تعلم اللغة العربية هي التي حركت اهتمام الشخصيات العلمية والسياسية والجمعيات الأهلية والقوى الوطنية وكل من كانت لهم القدرة على الإسهام في مجال ترقية الحياة الجماعية، السياسية والثقافية، والفكرية وتنمية الوعي الوطني والديني والثقافي، حركت هذه الأوضاع مشاعرهم وأذكت

غيرتهم على الوطن فتصدوا لمجابهة السياسة الاستعمارية، ومقاومة الأساليب التي انتهجتها حتى يقللوا من الأثر السلبي لهذه السياسة. (فضيل، 2015)

وتجدر الإشارة أن إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يكن وليد 1931 م أو جاء كرد فعل للاحتفالات الفرنسية بالذكرى المئوية سنة 1930 م كما يرى البعض وإن كانت الاحتفالات أخرجتها إلى حيز الوجود، لأنها فكرة اختمرت في عقول المصلحين الجزائريين فترة من الزمن. (بوصفصاف، 1981، صفحة 78)

وقد كان تأسيسها لغايتين شريفتين ذكرهما الشيخ البشير الإبراهيمي:

_ إحياء مجد الدين الإسلامي

_ وإحياء مجد اللغة العربية (الإبراهيمي، 1997، صفحة 133)

ويمكن استخلاص مبادئ الجمعية من الشعار الذي ينسب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس " أول رئيس للجمعية، "وهو **"الإسلام ديننا-والعربية لغتنا-والجزائر وطننا"** (سعدي، 2011، صفحة 89)

وقد ركز عبد الحميد بن باديس على هذه المبادئ في كتاباته حيث كتب في جريدة البصائر يقول":العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه هي أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا، فمازالت هذه الجمعية منذ أن كانت تفقهنا في الدين وتعلمنا اللغة وتنيرنا بالعلم وتحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة "(ابن باديس، 1937، صفحة 2)

فاللغة العربية تمثل أهم مقومات الأمة، وأهم عناصر شخصياتها وأسباب عزّها، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي في ذلك' : 'إن اللغة هي المقوم الأكبر من مقومات الاجتماع البشري وما من أمة أضاعت لغتها إلاّ وأضاعت وجودها واستتبع ضياع اللّغة ضياع المقومات الأخرى". (الإبراهيمي، 1997، صفحة 134)

وكما تمتاز اللغة العربية عن غيرها بأنها لغة الدين، ولغة القرآن والسنة، ولغة العلوم الدينية والدنيوية، فإن إحياءها إحياء للدّين في نفوس أهلها وبيانها بيان لمحاسنه، يقول ابن باديس: " لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه ولا تعليم له إلاّ بتعليم لغته " (ابن باديس، 1991، صفحة 126)

وإدراكا من الجمعية وعلمائها أهمية اللغة العربية ودورها الفعال في حفظ كيان الشعب الجزائري، أولتها اهتماما كبيرا وجعلت منها إحدى المبادئ المهمة التي تحارب لأجلها عن طريق مشروعها الإصلاحي وكذا لكون" العربية بكل ما تحويه من حضارة وثقافة ولغة قرآن كريم تمثل سدّا حائلا بين فرنسا وبين تحقيق سياستها في فرض الفرنسية والتغريب على الشعب الجزائري" (تركي، 2001، صفحة 125)

4.2. النشاط التعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودوره في حفظ اللغة العربية ونشر تعليمها :

إن نشاط جمعية العلماء المسلمين قد تمحور حول المحافظة على الشخصية القومية (الوطنية) للشعب الجزائري ولم يقتصر على داخل الجزائر فقط بل امتد إلى الخارج وخاصة فرنسا، حيث أُرسلت الوفود وأسست النوادي والمدارس لتعليم أبناء الجالية الجزائرية الكبيرة العدد في فرنسا، وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد على المواطنين هناك ابتداء من عام 1936 م، كما أصدرت الجمعية عدة صحف باللغة العربية لنشر أفكارها وتبليغ دعوتها للجزائريين. (تركي، 2004، صفحة 46)

ولقد بذلت الجمعية أعظم جهودها لإحياء اللغة العربية - التي كادت تندثر في الجزائر- ونشرها على نطاق واسع بين أبناء الجزائر.

وقامت بتطبيق مشروعها لنشر التعليم العربي ورعايته والدفاع عنه وبعث النهضة التعليمية العربية التي كانت في طريق الاندثار، فأنشأت مدارس في مختلف أنحاء القطر،

وشهد التعليم قفزة نوعية مقارنة بما بذلته فرنسا من مجهودات لمنع الأهالي من التعليم. (ميسوم، 2009، صفحة 153)

1.4.2. مؤسسات التعليم عند الجمعية :

أ_ المدارس و أنواعها و عددها :

لقد انطلقت جمعية العلماء في سياستها التعليمية من واقع المجتمع الجزائري الذي فقد كل مصادر المعرفة نتيجة لسياسة التجهيل التي اتبعتها السلطات الاستعمارية في الجزائر، لهذا اتخذ قادة الجمعية من المدرسة أداة رئيسية لمحاربة الاستعمار، وقد وصف الشيخ الإبراهيمي المدرسة بأنها جنة الدنيا، وكل شعب لا تبنى له المدارس تبنى له السجون، لذلك فقد اهتمت الجمعية منذ البداية بإنشاء المدارس العربية في شتى أنحاء القطر، وكانت أول المدارس التي أسستها الجمعية مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة سنة 1936 م، ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر، ومدرسة تهذيب البنين بتبسة .(بوصفصاف، 1981، صفحة 138-140)

1- المدارس الابتدائية: بلغ عدد مدارس جمعية العلماء الابتدائية والابتدائية التكميلية (الإعدادية) في عام 1948 م حوالي 140 مدرسة تغطي معظم مدن القطر وقراه (فضلاء، 1999، صفحة 26)، ويؤيد ذلك المقال الذي نشره الرئيس الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في العدد 93 من جريدة البصائر سنة 1949. حيث يقول :(وهذه المدارس التي أربت على المائة بالعشرات ، كلها من آثار جمعية العلماء، ومن ثمرات إرشادها وإعدادها للأمة، وستسفر هذه الحركة المباركة – إن شاء الله – في بضع سنين أخرى عن مئات من المدارس، لأن هذه الرغبة المتأججة في صدور الصالحين من الأمة لا يطفئها تعنت الظالمين، ولا وسوسة الدجالين، ولا كيد المفسدين...). (تركي، 1975، صفحة 213-214)

وفي عام 1951 م ذكر رئيس الجمعية في تقريره السنوي لاجتماع الجمعية المنعقد في أكتوبر أن عدد مدارس الجمعية يبلغ 125 مدرسة، لا تدخل فيها المدارس المعطلة إداريا من طرف الاحتلال، وتضم هذه المدارس 300 فصل دراسي، يدرس فيها 36.286 تلميذا وتلميذة منهم16.286 تلميذا متفرغا للدراسة في النهار، ويطلق عليهم اسم التلاميذ النهاريين وهم ينقسمون إلى:

10.590 ذكور و 05.696 إناث، أما البقية وعددهم عشرون ألف تلميذ و تلميذة يدرسون نهارا بالمدارس الفرنسية ويدرسون قبل بدء دروس المدارس الفرنسية و بعد الانتهاء منها بمدارس الجمعية، وهذا الإحصاء يتعلق بمن شاركوا في امتحانات آخر العام سنة 1951 م فقط، ولا يشمل من لم يشاركوا فيه ولذلك فإن عددهم الإجمالي قد يتجاوز الأربعين ألف تلميذ، وقد نشرت الجمعية في العام الدراسي1950-1951م قائمة بأسماء مدارسها في جريدة البصائر.

2- الإنتقال إلى المرحلة الثانوية: وفي عام 1947 م خطت جمعية العلماء خطوة أخرى في رفع مستوى التعليم التابع لها فقررت إنشاء معاهد ثانوية يواصل فيها الممتازون من خريجي مدارسها الابتدائية و الابتدائية التكميلية دراستهم فيها ، فكان أول معهد ثانوي أسس بقسنطينة ليكون نواة لبقية المعاهد الثانوية، وحمل اسم ابن باديس اعترافا بفضله وتخليدا لذكره (الإبراهيمي، 2007، صفحة 215)

وكانت (لجنة التعليم) بالجمعية تعين لجانا من كبار المديرين والأساتذة و قدماء المعلمين في مدارس الجمعية عبر الوطن للإشراف على امتحان نهاية الدراسة الابتدائية وتمنح للناجحين بموجبه الشهادة الابتدائية، وتجري الامتحانات في مراكز محددة في يوم واحد ومواضيع موحدة.

ولقد جرى أول امتحان للشهادة الابتدائية لأول مرة في العام الدراسي 1950-1951 ، ولقد توقف سنة 1957 م نشاط لجنة التعليم بالجمعية فواصلت مدرسة التهذيب بالعاصمة العمل مع ما يزيد عن 40 مدرسة عبر القطر (فضلاء، 1999، صفحة 38)

ويتقاسم الإشراف على التعليم وإدارته في مدارس جمعية العلماء جهتان هما :

1-الجمعيات المحلية الموجودة بكل بلدة أو قرية بها مدرسة تابعة للجمعية ووظيفتها القيام بأمور المدارس من الناحية المادية.

2-جمعية العلماء التي تتولى شؤون المدارس من الناحية الفنية التعليمية، وبالتالي فإن هاتان الجهتان تشتركان في إدارة التعليم كل جهة في الجانب الذي يخصها، لكن توحيد المناهج والنظم الدراسية والكتب والإشراف الفني بصفة عملية و شاملة لم يتم إلا بعد تأسيس " لجنة التعليم العليا " بقرار من المجلس الإداري للجمعية في 13 سبتمبر سنة 1948 م وهي تحت إشراف رئيس الجمعية وتتشكل من عضوين من إدارة الجمعية وأحد عشر عضوا من قدماء المعلمين.

3-التعليم المسجدي: لقد قامت المساجد إلى جانب المدارس ومؤسسات أخرى برسالتها التعليمية التي أناطتها بها جمعية العلماء ، حيث كانت مراكز للعبادة و أيضا للتربية و التعليم و نشر اللغة العربية. ويعد التعليم المسجدي للجمعية امتدادا لتعليم ابن باديس الذي اتخذ من الجامع الأخضر بقسنطينة (غنايزية، 2012، صفحة 57) مركزا لنشر العلم واللغة العربية والحضارة الإسلامية.

وقد كان عدد التلاميذ في الجامع الأخضر وحده سنة 1936 يقدر بثلاثمائة تلميذ ، وكانت مواد الدراسة في الجامع الأخضر متنوعة وتشمل تفسير القرآن الكريم وتجويده و الحديث الشريف والفقه والعقائد الدينية والآداب والأخلاق الإسلامية من نحو وصرف وغيرهما والمنطق والحساب (غنايزية، 2012، صفحة 58)

وقد استطاعت جمعية العلماء أن تحقق نجاحا خلال فترة وجيزة من الزمن في ميدان التربية والتعليم نالت به إعجاب أصدقائها وأحدثت الرعب والفزع في نفوس أعدائها وخصومها.(بوصفصاف، 1981، صفحة 144)

3. خاتمة :

إن تدهور أوضاع الجزائر منذ دخول الاستعمار سنة 1830 في جميع المجالات ومنها المجالين الديني والثقافي، وما عانته اللغة العربية من التهميش وتضييق مجال استعمالها ونشر تعليمها، دفع النخبة المثقفة بالبلاد إلى القيام بحركة إصلاحية لتصحيح تلك الأوضاع، وكان من أهم مسائلها التعليم العربي الحر الذي أولته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اهتماما خاصا، وبذلت فيه لأجل إحياء اللغة العربية وحفظها ونشر تعليمها ما سجله لها التاريخ بأسطر من ذهب.

فقد ذكر الشيخ البشير الإبراهيمي أن الجمعية قد أسست لغايتين شريفتين هما :إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية.

وكانت مبادؤها مستخلصة من الشعار الذي ينسب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس "أول رئيس للجمعية، "وهو**"الإسلام ديننا-والعربية لغتنا-والجزائر وطننا"** .

فاللغة العربية، أهم مقومات الأمة وعناصر شخصياتها وأسباب عزّها، كما يقول الشيخ البشير الإبراهيمي، وما من أمة أضاعت لغتها إلاّ وأضاعت وجودها واستتبع ضياع اللّغة ضياع المقومات الأخرى.

كما تمتاز اللغة العربية عن غيرها بأنها لغة الدين، لغة القرآن والسنة، لغة العلوم الدينية والدنيوية. لذلك فإن إحياءها إحياء للدّين في نفوس أهلها، وبيانها بيان لمحاسنه كما يقول ابن باديس، فلا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده و أخلاقه وآدابه وأحكامه ولا تعليم له إلاّ بتعليم لغته.

لهذا كله حاربت جمعية العلماء المسلمين لأجل إحياء اللغة العربية في الجزائر، ولأجل نشر تعليمها ونجحت في ذلك أيما نجاح .

4. قائمة المصادر والمراجع:

ابن باديس، عبد الحميد.(25 رجب 1356ه / 30 سبتمبر 1937م). خطاب الرئيس الجليل الأستاذ عبد الحميد بن باديس في عرض حالة الجمعية الأدبية، جريدة *البصائر*، عدد83 .

ابن باديس، عبد الحميد. (1991). *آثار ابن باديس*،ج4، ط1، قسم المطبوعات، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر.

الإبراهيمي، محمد البشير.(2007) *عيون البصائر* ، دار الأمة، الجزائر.

الإبراهيمي، محمد البشير. ،(أول محرم 1350 ه/ماي 1931 م)، الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، *الشهاب*، مج2 ، ج5 .

الإبراهيمي، أحمد طالب .(1997).*آثار الإمام* محمد *البشير الإبراهيمي*، ج1، دار الغرب الإسلامي.

أبو لحية، نور الدين.(2016). جمعية *العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما" دراسة علمية"*، ط 2، دار الأنوار.

بالولي، أحلام.(2014). *بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي* عند محمد *البشير الإبراهيمي-عيون البصائر نموذجا* -، مذكرة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العقيد آكلي محند أولحاج.

بلحاج، صالح.(2015). الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1910-1939)، بن مرابط، قسنطينة.

بوخلخال، عبد الله.(1997). وضع اللغة العربية في الجزائر ، مجلة لغتنا العربية في معركة الحضارة ، العدد السابع ، 18ماي 1997م، القاهرة.

بوصفصاف، عبد الكريم.(1981). جمعية *العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، ط1*، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.

تركي، رابح.(1975). *التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931- 1956)*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

تركي، رابح عمامرة.(2004). جمعية *العلماء المسلمين التاريخية (1931- 1956) ورؤساءها الثلاثة*، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.

تركي، رابح.(2001). *الشيخ عبد الحميد بن باديس-رائد الإصلاح والتربية في الجزائر*، ط5، المؤسسة الوطنية للاتصال.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.(2009). *سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين*، دار المعرفة، الجزائر.

خليفي، عبد القادر.(2010). *محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة (1830-1962)*، ديوان المطبوعات الجامعية.

دبوز، محمد علي.(2013). *نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة" الشيخ محمد علي دبوز، حياته وآثاره"*، ج 7، ط 5، عالم المعرفة ، الجزائر.

سطحي، سعاد.(2005). وسائل المشروع الثقافي الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية ، *مجلة المعيار*، قسنطينة ، العدد 10 ، سبتمبر 2005م .

سعد الله، أبو القاسم.(2011). *تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)*،ج3، عالم المعرفة، الجزائر.

سعد الله، أبو القاسم.(2011). *الحركة الوطنية الجزائرية (1860_ 1900)*، طبعة خاصة،ج1، عالم المعرفة، الجزائر.

سعد الله، أبو القاسم.(1992). *الحركة الوطنية الجزائرية*،ج2، ط4، بيروت، دار الغرب الإسلامي .

سعدي، عثمان.(2011). *الجزائر في التاريخ"ومن خلاله تاريخ المغرب العربي حتى الخلافة العثمانية"*، ط1 ، دار الأمة، الجزائر.

غنابزية علي.(2012). *دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية*، ج2، ط1، مطبعة مزوار ، الجزائر.

فضلاء، محمد الحسن.(1999). *المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر (1) القطاع القسنطيني*، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر .

فضيل، عبد القادر.(2015). *"دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الدفاع عن اللغة العربية أثناء الاحتلال الفرنسي"*، الاثنين 5 أكتوبر 2015،

الرابط https://binbadis.net/archives/1479

فلاحي، رابح.(2008).جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر1908 - 1954، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ و الآثار ,جامعة منتوري ،قسنطينة .

مطبقاني، مازن صلاح حامد.(2015). *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ، 1349-1358 ه / 1931-1939م* ، تق :أبو القاسم سعد الله، دار بني مزغنة، المحمدية -الجزائر.

ميسوم، بلقاسم.(2009). التطورات السياسية في الجزائر خلال1926-1936، *مجلة المصادر*، مجلة سداسية محكمه يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ، السداسي الأول 2009 ، العدد19 .